

ماذا لو كان الاستهداف الأمريكي لإيران بسبب سياسة 'البترو- يورو'؟

03-5-2005

وضمن هذا التحليل، فإن تصميم إيران على استخدام سياسة البترو- يورو قد يدفع عددا من الدول الأخرى المنتجة للنفط إلى مناقشة الموضوع علنا كروسيا وفنزويلا وربما السعودية أيضا، وبالتالي اعتماد اليورو كعميار دولي للتجارة في النفط حصريا أو إلى جانب الدولار كحد أدنى. وخوفا من هذه التداعيات المرتقبة على الاقتصاد الأمريكي وعلى السياسات النفطية، يتم الآن مهاجمة السياسة الإيرانية من قبل الولايات المتحدة تحت ذرائع مختلفة: منها دعم الإرهاب ومنها أسلحة الدمار الشامل ومنها البرنامج النووي الإيراني، ومن الطبيعي أن لا تتحدث عن نواياها النفطية في الموضوع

بقلم علي حسين باكير

تدقق علينا في الآونة الأخيرة سبل من الأخبار والتحقيقات الصحفية والمعلومات عن عشرات السيناريوهات المفترضة لهجوم أمريكي أو إسرائيلي على إيران، والسبب المعلن هو السياسة النووية الإيرانية والخوف من تفعيل برنامج نووي إيراني عسكري، وعلى الرغم من أننا لا نؤمن بهذه النظريات ونرى بأن امتلاك إيران لقرّة نووية هو مصلحة أمريكية وإسرائيلية على المدى البعيد لاسيما أن إسرائيل ترى في وجود سلاح نووي إيراني تبريرا جيدا لبقاء ترسانتها النووية، خاصة أن لدى الإسرائيليين معلومات مؤكدة أنه في حال تمّ تجريد كوريا الشمالية وإيران من قدراتهما النووية المحتملة، فإنّ الهدف التالي هو إسرائيل لأنّ المنطق الأمريكي الذي يتحدّث عن الإصلاح والدولة الفلسطينية والسلام والتطبيع مع إسرائيل لم يعد يسمح بإبقاء سلاح نووي إسرائيلي مقابل تجريد العرب من كل شيء.

وما يدعم هذا التحليل أن مصادر صحفية إسرائيلية كانت قد كشفت النقاب عن أن الإدارة الأمريكية طالبت إسرائيل منذ حوالي الشهر في بادئة غير مسبوقه، بالتخلي عن أسلحتها النووية وإخضاع منشآتها النووية إلى رقابة الوكالة الدولية للطاقة النووية، وهو ما يشكل سابقة في العلاقات بين الحليفين الوثيقين. حيث أشارت "هآرتس" الإسرائيلية آنذاك في تقرير لمراسلها العسكري " امير اورون" إلى أن مسؤولي الإدارة الأميركية استخدموا صيغة غير مألوفة في الإشارة إلى إمكانات إسرائيل العسكرية النووية، بعدما تجنبوا طوال عقود توجيه أي إشارة إلى تلك الأسلحة الإسرائيلية. وقالت الصحيفة إن إشارة مسؤولي الخارجية الأميركية إلى القدرات النووية الإسرائيلية، تتناقض مع الأسلوب الأمريكي المعتاد، لافتة إلى أن الرئيس السابق (بيل كلينتون) والحالي بوش، دأبا على مدار السنوات الست الماضية على التعهد لجميع من تولوا منصب رئاسة الوزراء في إسرائيل بمن فيهم شارون بأنه لن يتم الإضرار بالقدرات الإستراتيجية التي تحتاج إليها إسرائيل لحماية نفسها.

ومن هذا المنطلق فقد يكون استهداف إيران في الحقيقة بعيدا عن ذريعة السلاح النووي، والهدف الأساسي في ذلك هو منع إيران من إتباع نظام البترو- يورو.

فكما يعلم الجميع، فإن الدولار هو العملة الوحيدة التي تشتري بها الدول المستهلكة للنفط البترول، ولا خيار ثاني أمامها، فالدولار يعتبر حتى الآن المعيار الدولي في تجارة النفط، وبما أن الدول الصناعية الكبرى تصدر الدول المستهلكة للنفط بشكل كبير، فإنها تستضطر إلى الإبقاء على كميات كبيرة من الدولار في بنوكها المركزية كاحتياطي مالي، وهو ما يؤدّي إلى دعم الاقتصاد الأمريكي عبر دعم الدولار والاحتفاظ به والتداول عبره في النفط، وهو ما يعبّر عنه بـ"البترو-دولار". وقد اقترحت إيران في عام 2004، بالإضافة إلى عدد من الدول المنتجة للنفط أيضا، إمكانية طرح خيار ومعياري ثاني للتجارة بالنفط، وطبيعي أنّ الخيار الثاني كان اللجوء إلى اليورو كمعيار في التبادلات النفطية، مع العلم أن العراق كان في عهد صدام أول من طرح ذلك عام 2000، وحوّل احتياطياته بالكامل أيضا إلى اليورو وأوصى بأن يتم الدفع مقابل النفط باليورو، وقد استهزأ العديد من المراقبين بهذه الخطوة العراقية على اعتبار أن هذا التحويل قد كبّد العراق خسائر كبيرة، ثمّ ما لبث هؤلاء أن أصيبوا بصدمة عندما نجح العراق، وخلال سنة تم تعويض كل ما خسره في هذا التحويل نتيجة لارتفاع اليورو.

على العموم، تداول عدد من الدول الطرح الإيراني، ولكن خلف أبواب مغلقة خوفاً من الغضب الأمريكي، خاصةً أن مجرّد الحديث عن الموضوع سيؤدي إلى انهيار الدولار في ظلّ الضعف المتواصل الذي يعاني منه والتخلّي التدريجي عنه في خضم التقارير الدوليّة التي تفيد أن أكثر من نصف البنوك المركزيّة العالميّة قد حوّلت بالفعل احتياطياتها من الدولار إلى اليورو، بعد أن توقع مكتب الميزانية الأمريكي أن يبلغ عجز الميزانية العام الحالي نحو 397 مليار دولار، في حين توقع البيت الأبيض عجزاً يصل 427 ملياراً هذه السنة التي تنتهي في سبتمبر/أيلول المقبل.

وضمن هذا التحليل، فإن تصميم إيران على استخدام سياسة البترو-يورو قد يدفع عدداً من الدول الأخرى المنتجة للنفط إلى مناقشة الموضوع علناً كروسيا وفنزويلا وربما السعودية أيضاً، وبالتالي اعتماد اليورو كمعيار دولي للتجارة في النفط حصرياً أو إلى جانب الدولار كحد أدنى. وخوفاً من هذه التداعيات المرتقبة على الاقتصاد الأمريكي وعلى السياسات النفطية، يتم الآن مهاجمة السياسة الإيرانية من قبل الولايات المتّحدة تحت ذرائع مختلفة: منها دعم الإرهاب ومنها أسلحة الدمار الشامل ومنها البرنامج النووي الإيراني، ومن الطبيعي أن لا تتحدّث عن نواياها النفطية في الموضوع، لكنّ يطلّ السبب الرئيسي هو الخوف من اعتماد سياسة البترو-يورو على الصعيد الدولي مستقبلاً، والهدف منع إيران من بدأ ذلك، خاصةً أن بعض الأوساط تشير إلى أن عام 2006 سيشهد بداية هذا المشروع، فهل ستقوم الولايات المتّحدة بضرب إيران لتأديبها؟ أم ستلجأ إلى مجلس الأمن لفرض خياراتها؟ أم ستحول مفاصلة من نوع آخر مع إيران دون تنفيذ سياسة البترو-يورو، كما كان قد حصل في العديد من الملفات مع أمريكا من بينها "ملف مجاهدي خلق"، و"ملف أعضاء القاعدة"، "النفوذ في العراق"، و"الدور الإيراني في أفغانستان"؟.